

حوار مع مولانا النفرح (1)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD101112.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/11/10
السنة السادسة - العدد: 1898



لماذا التوقف فالنقلة؟

ابتداء من اليوم أعلن تراجعى راضيا حامدا عن مواصلة هذه المخاطرة بعنوان "حوار مع الله"، برغم ما أفادتنى بما خرجت منها والحمد لله.

الحكاية أننى حين فتحت ملف "الإدراك" وجدت نفسى فى رحاب هذه "المواقف" مباشرة، كما أن الأصدقاء والزلاء الذين عقبوا أو تساءلوا أو استغربوا النص الأصلي أو ما استلهمته منه قد قاموا بدور رائع مهم، وكان من أهم ما اضطررنى إلى هذه الوقفة الآن.

كتابى المشترك مع الزميل والابن د. إيهاب الخراط، (اللاهوتى الانجليى الطبيب النفسى الحاذق) بعنوان "مواقف النفرى بين التفسير والاستلهام"، كان هو الأصل الذى انطلقت منه هذه المحاولة الحالية حتى بلغت 87 نشرة. الجزء الأول من هذا الكتاب كان بقلمى مستقلا، وكان تفسيريا اجتهاديا - بلغة علوم العصر - لبعض ما استطعت من هذه اللغة الخاصة الرائعة الغامضة، وقد نبهنى ابنى د. محمد إلى رفضه لهذه المحاولة، ولم يبين وجهة نظره تفصيلا، إلا أن ما وصلنى هو أنه خاف على الأصل أن يتسطح أو يتشوه، وعنده حق، وقد وضعت ذلك فى الاعتبار فى مقدمتى للكتاب السالف الذكر كالتالى:

علم النفس، مقابل علم النفس فى رحاب نص صوفى

هذا مدخل آخر لما هو "علم النفس"، وهو التعبير الذى لن نكف عن استعماله حتى نفتح الأبواب لكل مناهل المعرفة، لنتعرف من خلالها على أنفسنا، فلا يقتصر ذلك على "علم النفس" الذى لم يدع يوما أنه المصدر الأوحى.

نحن نريد أن نعرف ما هو "نحن"؛ "كيف"؟ "وإلى أين"؟ نريد علما بالنفس، جنباً إلى جنب، وربما سبقاً على عطاء العلوم النفسية جميعا والتي كادت تخنقها ألعاب مؤسسات التجارة والسلطة، كما قيد خطوتها ضيق المنهج.

على الرغم من يقيننا الواضح بأن التصوف أساساً هو خبرة معيشة، غير قابلة للكتابة، ومن ثم غير قابلة للشرح والتأويل، إلا أننا بعد ما تلكأنا أكثر مما ينبغى لم نعد نملك إلا أن نعاود المغامرة. فقد اكتشفنا أننا لو استسلمنا لهذه المقولة (العجز عن الكتابة عن ما لا يكتب، أو ما لا ينقال بلغة مولانا النفرى) فإننا نساهم فى دفن هذه الخبرة البشرية الإيمانية بعيداً عن وعى من لم يألفها، فلم يَرْتَدَّهَا، وبالتالي فنحن إذا انسحبنا إنما نساهم بهذا الانسحاب (المتعالى بشكل أو بآخر) فى اختزال الوعى الإنسانى إلى ما أريد به من جانب الوصاة والمستثمرين!!!

نحن لا ندعى القدرة على الإمام بفيض ما يوحى به هذا النص، كما وصل إلينا، وإنما نحاول أن نتطفل على مائدة النفرى، إذ ندور حول منته، لعلنا نضيف هوامش واعدة نستشق من خلالها بعض عبير ربح هذا القطب الجليل.

.....

أعلن تراجعى راضيا حامدا عن مواصلة هذه المخاطرة بعنوان "حوار مع الله"، برغم ما أفادتنى بما خرجت منها والحمد لله.

علم النفس، مقابل علم النفس فى رحاب نص صوفى
هذا مدخل آخر لما هو "علم النفس"، وهو التعبير الذى لن نكف عن استعماله حتى نفتح الأبواب لكل مناهل المعرفة، لنتعرف من خلالها على أنفسنا، فلا يقتصر ذلك على "علم النفس" الذى لم يدع يوما أنه المصدر الأوحى.

نحن نريد أن نعرف ما هو "نحن"؛ "كيف"؟ "وإلى أين"؟ نريد علما بالنفس، جنباً إلى جنب، وربما سبقاً على عطاء العلوم النفسية جميعا والتي كادت تخنقها ألعاب مؤسسات التجارة

والسلطة، كما قيد
خطوتها ضيق المنهج

أنا لو استسلمنا لهذه
المقولة (العجز عن
الكتابة عن ما لا
يُكتب، أو ما لا يُقال
بلغه مولانا النفرجي)
فإننا نساهم فك دفن
هذه الخبرة البشرية
الإيمانية بعيداً عن وعك
من لم يألفها، فلم
يُرتدّها

نحن إذا انسحبنا إنما
نساهم بهذا الانسحاب
(المتعاليك بشكل أو
بآخر) فك اختزال الوعد
للإنسانك إلّا ما أريدك
به من جانب الوصاة
والمستثمرين!!!

"إذاضقت ذرعاً
بدواعك نفسك فاسكن
إلّا زوجتك، فإن ضقت
فإلّا أهل علمك، فإن
ضقت فإلّا أهل
معرفتك، فإن ضقت فسر
فك الأرض، فإن ضقت
فالزم بأبك، فإن ضقت
فيه فاصبر، فإن ضقت
فيه فاصبر (كررها حتك
قال) اصبر يفتح لك نور"

بروخ فيه قبر العقل ،
وفيه قبور الأشياء

"أوقفني" معناها أن الله
أيقظ قابليتي لتلقي
التجلي.
و"قال لي" معناها أنه

ثم كان هذا الكتاب جزأيه: الأول: التفسير بما تيسر (وهو ما رفضه محمد إبنى)
والثاني: هو ما اسميته "التوجه الضام" الذي جمع قارئين للنص مسلّم ومسيحي ليقرأ نفس
النص: صلاةً واستلهاماً.

وبعد

إذن فقد كنت واعياً من البداية بنوع الصعوبة، لكنني لم أكن متيناً بقدر كاف مدى الخطورة،
وحين هذا حذوى بعض الأصدقاء والأبناء رعبت أكثر فأكثر خشية أن يعفينا السماح بالغموض من
مسئولية الوقوف والكبح كدحا.

شعرت الآن أن عليّ أن أعود إلى نشر تفسير المرحوم أحمد بهجت لهذه الكتابات، وهو التفسير
الذي أثبتته في مقدمة كتابي السالف الذكر مقتطفاً من الأهرام (صندوق الدنيا) 1999/12/15.

تفسير أحمد بهجت لكتابة المواقف

قبل المقدمة

(أ) ظهر النفرى يلفه غموض كغموض عصره، نحن لا نعرف من هو، ولا نعرف
لماذا لم يتحدث عن مصنفاته وأساتذته أو شيوخه،..قال:

"إذاضقت ذرعاً بدواعى نفسك فاسكن إلى زوجتك، فإن ضقت فإلى أهل علمك، فإن
ضقت فإلى أهل معرفتك، فإن ضقت فسر في الأرض، فإن ضقت فالزم بابي، فإن ضقت
فيه فاصبر، فإن ضقت فيه فاصبر (كررها حتى قال) اصبر يفتح لك نور"
ومن فرط تواضعه لم يكتب ما كان يقول، إنما كان يؤلف كتابه شفها لمريديه، ويكتفى
بذلك.

(ب) ...ويبدو أن النفرى قد تلقى الأمر بالألا يبوح للآخرين بما يقع له من تجارب، ومن
هنا جاءت لغته مجازية تماماً، وفيها الكثير من الجرأة والمغامرة في النحت والاشتقاق،
الذي يصل إلى حد الإغراب، وترتب على ذلك... (الخروج) عن اللسان المعتاد والمنطق
المألوف، ويوقفنا على هوة، هي حسب قول النفرى :

"بروخ فيه قبر العقل ، وفيه قبور الأشياء"

فشرح نص النفرى يصبح مهمة فيها الكثير من المخاطرة،
وإن كان البحث عن الحكمة يستحق المخاطرة.

.....و"أوقفني" معناها أن الله أيقظ قابليتي لتلقى التجلي.

و"قال لي" معناها أنه عرفني بأن رفَع حجابي فعرفتُ، فكأنه قال لي.

...، فبدل أن يقول الواحد منهم (من الصوفية): انقذح في ذهني هذا خاطر، يقول:

قال لي ربي، إيماناً منه بأن نبع الحقيقة و ملهمها هو الله سبحانه.

وبعد (أخرى)

شعرت أيضاً أنه من المناسب تفسيراً للنقطة الحالية أن أعيد نشر منهج القراءة كما جاء في

مقدمة الكتاب السالف الذكر، وهو كما يلي:

كيف نقرأ نصاً ما؟

وقبل ذلك : ما هو النص؟

النص هو كل منظومة تتماثل في أفق الوعي، فتستثير الفهم، أو الحوار، أو
الإضافة، أو التكملة، أو الجدل، أو التفرع الخلاق، أو التكامل، أو كل ذلك مجتمعاً.

وقارئ النص هو من تفتح وعيه للمُدرِك المتاح ليعيد تشكيله بما أمكن، وهذا

موقف لا يشترط القراءة والكتابة، بقدر ما يشترط الدراية واليقظة.

عرّفنا بأن رفعَ حجابك
فعرّفتُ، فكأنه قال لـ

النص هو كل منظومة
تتماثل فد أفق الوعد،
فتستثير الفهم، أو الحوار،
أو الإضافة، أو التكملة،
أو الجدال، أو التفرغ
الخلق، أو التكامل، أو
كل ذلك مجتمعا

قارحك النص هو من
تفتح وعيه للمُدرك
المتاح ليهدد تشكيه بما
أمكن، وهذا موقف لا
يشترط القراءة والكتابة،
بقدر ما يشترط الدراية
والليقظة

كل "آخر" (كل إنسان
آخر) هو نص "آخر"،
مختلف عن أحد نص
"آخر".

المريض النفسك هو نص
أكثر تعرييا، وأكثر
تحديا، وهو "نص" يحتاج
إلى قراءة، أكثر منه
اضطراب يحتاج
إلى "لافتة" (تشخيص).
ولعل هذه الحقيقة
كانت تكمن فد
خلفية الوعد فد
مواجهة نص بهذا
التعقيد، وهذا العمق،
وهذا الخلود

الإنسان هو نفسه "نص" يحتاج في قراءته إلى ما يحتاجه أى نص.

و لعل المشروع العملاق المسمى مشروع الجينوم الذى يحاول قراءة الخريطة الجينية
للإنسان، هو محاولة علمية رائدة لقراءة النص البشرى بفك شفرة مكوناته الجينية. وحتى
هذه القراءة بعد أن تتم، وعلى الرغم من أنها تعد بأن تكون قراءة بيولوجية مستفيضة،
سوف تحتاج إلى قراءات كثيرة لاحقة: ناقدة ومستلهمة.

كل "آخر" (كل إنسان آخر) هو نص "آخر"، مختلف عن أى نص "آخر".

المريض النفسى هو نص أكثر تعرييا، وأكثر تحديا، وهو "نص" يحتاج إلى قراءة،
أكثر منه اضطراب يحتاج إلى "لافتة" (تشخيص). ولعل هذه الحقيقة كانت تكمن فى خلفية
الوعى فى مواجهة نص بهذا التعقيد، وهذا العمق، وهذا الخلود.

التفسير فى مقابل الاستلهام

إن أخطر ما لحق بالنصوص الخالدة هو محاولة اختزالها بما يسمّى التفسير، إنها
تحتاج إلى موقف نقدي أكثر من أى شئ آخر. 'إننا نسمح لأنفسنا بالقول بأنها تحتاج إلى
موقف إيداعى يستلهمها، وربما يتكامل بها ومعها أكثر من حاجتها إلى تفسير أو تأويل.
إن تعبير نقد النص الفلانى قد يرعب بعض المتصلبين حتى الرفض، مع أن النقد
الحقيقى هو إثراء لأى نص كان.

النقد هو امتداد للنص الأسمى وليس انتقاصا منه، ثم إننا لا نزع من هذه المحاولة
الحالية هى نوع من النقد بقدر ما هى أشبه بابتهالات موازية، أو تعرية مستثارة من نصّ
له احترامه، نص فرض نفسه بأكثر من لغة، لعدة قرون على الرغم من غموضه الظاهر،
والتباسه ومحاف مخاطره.

ليكن هدفنا الأول هو الإسهام فى محاولة حل إشكالية المنهج فى تناول بعض المعطيات
فى مواجهة الوعى البشرى: التفسير فى مقابل الاستلهام.
هذا هو اجتهادنا، نرجو من الله أن يثينا عليه، سواء حالفنا الصواب، أم وقعنا فى
المحذور.

ويبدو أنى لم أطمئن برغم كل ذلك فأنهيت هذا المقطع من المقدمة كالتالى:

قبل القراءة: هذه المحاولة لا تُقرأ كما اعتدت أن تُقرأ غيرها من نصوص. هو نص نأمل
أن يقع فى مكان طيب من وعيك، بعيدا عن وصايتك، فإن لم يحدث، فاتركه فأنت لست ملزما
بإكماله.

ثم إن لاح لك — بعد فترة ما — أن تعود إليه، فارجع واحدة واحدة دون أن تفرض
عليه ما حال دونه وإياك فى المرّة السابقة.

فإن نجح أن يحرك بعض أوجه وعيك، فاصبر على ما وصلك منه دون أن تحاول
فهمه : جدا وسريعا.

وقد يكون فى ما بلغك بعض ما أردنا، أو قد تتجاوز به إلى بعد ما أردنا، فيكون حوارا
حقيقيا، لا مبارزة كلامية، ولا تبريرا منطقيا.

من يدري؟

أخيرا:

برغم كل ذلك وقع المحذور ولمدة أكثر من عام ونصف (87 نشرة) ومع تزايد
المخاطر (والمخاوف) قررت أن أتوقف عن مواصلة حوارى مع الله سبحانه وتعالى بشكل
مباشر، وذلك بعد أن انتهيت من تحديث نصوص استلهامتى التى وردت فى الكتاب الأول،

لا نزع عن أن هذه المحاولة الحالية هي نوع من النقد بقدر ما هي أشبه بابتهايلات موازية، أو تعرية مستتارة من نص له احترامه، نص فرض نفسه بأكثر من لغة، لعدة قرون على الرغم من غموضه الظاهر، والتباسه ومحاف مخاطره

قد يكون فك ما بلغك بعض ما أردنا، أو قد تتجاوزه إلك بعد ما أردنا، فيكون حوارا حقيقيا، لا مبارزة كلامية، ولا تديرا منطقيا

وبدأت الرجوع إلى مواقف جديدة على تماما فلاحظت نصوصا يستحيل قبولها، بل وثمة نصوص يمكن أن تبلغ - ولو لأول وهلة - عكس ما أتصور أنه المراد، فتساءلت عن منهج مصداقية النقل والتسجيل، وكنت أعرف أنه في الأصل نص شفاهي بصفة عامة، وأن المؤرخين اختلفوا حول من سجله: هل هو ابن النفري أو ابن بنته، فتساءلت: يا ترى كم من الوقت مضى بين ما قاله النفري وبين التسجيل، وكلام كثير خطر لي مثل الذي خطر لي فيما هو أهم من كلام النفري، بل إنني تساءلت أيضا: ماذا لو عرضت هذه النصوص على مولانا النفري نفسه فماذا كان سيجيز منها، وماذا كان سيحدث؟ وماذا كان سيصح؟.

من كل ذلك وغيره قررت التالي:

أولا: أن أتوقف عن هذه المخاطرة وأحول حوارى مع مولانا النفري بدلا من هذه الجراءة المخاطرة التي سمحت لي بالتوجه بالحديث إلى الله سبحانه وتعالى.

ثانيا: أن انتقى من المواقف بعضها أو فقرات منهما كما أجده يصلح للحوار مع مولانا دون الالتزام بتغطية كل ما ورد.

ثالثا: أن أقوم بتعريف القارئ (ربما الأسبوع القادم) بالنفري شخصيا، وباختلاف الآراء حول مصداقية النقل للمتن، يا حبذا نبذة مختصرة عن مترجمه إلى الانجليزية صاحب الفضل أرثر برى.

ثم أبدأ بعد ذلك هذه "التحويلة" إلى الحوار مع النفري (وربما مع بعض هؤلاء من راوٍ أو مترجم) بما يتيح لي موقفا نقديا أكثر رحابة، وإن كان أقل حدسا.

*** **

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"قراءة النص البشري من منظور تطوري - انطلاقا من فكر يحيى الرخاوي"

الإصدار الفعلي لنشرة "الإنسان والتطور" (حسب المأور)

ربيع - صيف 2012

"الفصل"

... قراءة من منظور تطوري

مع ملحق حدود بريد الجمعة

www.arabpsynet.comwww.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

بروفيسور يحيى الرخاوي

rakhawy@rakhawy.org

mokattampsy2002@hotmail.com

<https://www.facebook.com/notes/arabpsynet-mails/375402525876194>

*** **

للتسجيل في وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

أرسال طلب الك بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

محموبا بالسيرة العلمية

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

كامل نشرات "الإنسان و التطور" (اليومية) على الويب